الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج -

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

العنوان

أساليب التأثير " في كتاب "أيّها الولد المُحبّ"

"لأبي حامد الغزالي" مقاربة في ضوء البلاغة الجديدة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر

في اللغة و الادب العربي النظام الجديد LMD

تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

* أمة الله صغير

* هبة الله صغير

إشراف الدكتور:

د. البشير عزوزي

د. ياسين بغورة	جامعة محمد البشير الابراهيمي	رئيسا
د. البشير عزوزي	جامعة محمد البشير الابراهيمي	مشرفا ومقررًا
د. عادل رماش	جامعة محمد البشير الابراهيمي	مناقشا

الموسم الجامعي:1443/1444هـ //2022/2023م

مقدّمـــة

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الهدى المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

جعل الله تعالى الاختلاف في الآراء والمواقف ووجهات النظر أمرا طبيعيا بين البشر، وجعل اللغة وسيلة من وسائل التواصل، وأداة الانسان في التخاطب ومشاركة تلك الآراء والمواقف مع الغير. وتحمل هذه اللغة في ذاتها وظيفة حجاجية، فالإنسان يتكلم بصفة عامة لتحقيق ما يصبو إليه من تأثير وإقناع وإثبات صحة مواقفه عن طريق الحجاج، بحيث تختلف أنماط الخطابات باختلاف بنيتها وتراكيبها وأدواتها وأهدافها، غير أنها تشترك في مهمة واحدة وهي التأثير في المخاطب وإقناعه بمحتوى الخطاب.

ويتحقق الحجاج عن طريق آليات مختلفة، يمكن لعامة الناس باختلاف مستوايتهم ممارستها، لبكن بطريقة متفاوتة من شخص لآخر.

وقع اختيارنا من هذا المنطلق على نوع محدد من الخطابات بغية تحليل بنية نصوصها و استنباط الآليات الحجاجية التي تضبطها، وعلى هذا الأساس جاء عنوان بحثنا " أساليب التأثير في كتاب أيها الولد المحب" لـــ "**أبي حامد الغزالي**".

كانت الرغبة في الخوض في موضوعنا هذا... كوننا تلقينا دروسا في مقياس تحليل الخطاب في فترة الدراسة فشد انتباهنا هذا الحقل المعرفي وبدا لنا مميزا كونه يهتم بالعلاقات التفاعلية القائمة بين الخطاب ومنتجه ومتلقيه مع مراعاة المقام الذي يكون فيه الخطاب، فكان الأمر أن اقترح علنا استاذنا المشرف دراسة الحجاج والذي يشكل أحد الموضوعات الأساسية ، وتمثلت أهداف هذا البحث في :

- محاولة الإحاطة بماهية الحجاج ووظيفته وإطاره المعرفي.
- إحصاء آلياته وتقنياته التي يلجأ إليها الباحث بغية تحقيق مقاصده.

خطة البحث :

وقد انطلقنا في هذا البحث من إشكالية أساسية هي :

(ماهية الأبعاد الحجاجية في النصوص "**أبي حامد الغزالي**" أو رسالته الشهيرة "**أيها الولد المحب**".)

واندرجَتْ تحتها تساؤلات فرعية أهمها :

ما هو الحجاج ؟ ما الفرق بينه وبين الجدل والبرهنة ؟ ما هي الآليات التي تحدد حجاجية الخطاب ؟ هل للروابط والعوامل دور في الإقناع ؟

حاولنا الإجابة عن معظم التساؤلات ولو بطريقة موجزة بالاعتماد على المنهج الأنسب لهذه الدراسة، وهو المنهج الوصفي التحليلي، بحيث وصفنا وحللنا العينة المختارة واستخلصنا منها ما أمكن من الحجاجية ، فكانت الخطة كالآتي :

الفصل الأول : المعنون بـــ "الحجاج من المعنى اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية ".

وهو الجزء النظري ينقسم إلى مبحثين وهما :

أولا : مصطلح الحجاج من المعنى اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية .

ثانيا: البلاغة الجديدة ونظريات الحجاج.

و الفصل الثاني: الموسوم بـــ " آليات التأثير في رسالة الغزالي "

وهو الجزء التطبيقي الذي ينقسم إلى ثلاثة مباحث هي :

أولا: آليات الحجاج وأدواته .

ثانيا: أدوات السلم الحجاجي اللغوية .

ثالثا : العوامل الحجاجية .

خاتمة :

رصدنا فيها بعض النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة وقد اعتمدنا على عدد من المصادر والمراجع أهمها "لسان العرب لابن منظور"، "اللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي"، "الحجاج في القرآن لعبد الله صولة"، "الحجاج مفهومه ومجالاته" وغيرها من المراجع القيمة التي أفادتنا في بحثنا هذا.

كما أن الحجاج وأدوات الإقناع ميدان ثري لا يكفيه الحديث المختصر للإحاطة بكل حدوده ومفاهيمه.

لكن رغم ذلك يبقى خير الكلام ما قل ودل، فقد عبرنا بإيجاز عن أدوات الإقناع وأهميته في الخطاب، ونتمنى أن نكون قد وفقنا في عرض العناصر الأساسية عرضا صحيحا.

وما توفيقنا إلا بالله سبحانه وتعالى، عليه توكلنا و إليه ننيب .

كما نرفع كلمة شكر إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره...أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه... فأظهر بسماحته تواضع العلماء... وبرحابته سماحة العارفين...إلى كل من أخذ بيدنا وعلَّمَنا جملة أو أفادنا بفكرة في مجال العلم .

وعلى رأسهم أستاذنا الدكتور " **البشير عزوزي**"... الذي نقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" إن الحوت في البحر،والطير في السماء، لَيُصَلُّون على معلّم الناس الخير".

الفصل الأول:

الحجاج من المعنى اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية

أولا : مصطلح الحجاج من المعنى اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية

ثانيا : البلاغة العربية ونظريات الحجاج

أولا : مصطلح الحجاج من المعنى اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية .

1/ الحجاج عند الغرب:

من مسلمات البحث في إشكالية ما أو ظاهرة ما يجب أن نتوقف عند جهاز مصطلحاتها الأساس، والتي تبين مداخل الموضوع قبل البداية في أي تحليل، أو دراسة الحجاج كغيرها تحتاج الى تحديدات مصطلحية، أبرزها وأهمها مصطلح الحجاج[1]، إذ تعد هذه اللفظة علامة على الفعل الواجب لعملية الإقناع، والتأثير في الناس بأطروحة معينة، وقد عرفت معاجم تحليل الخطاب اللفظة مرجعة إياها إلى الجذر اللاتيني Arguere والتي تعني إظهار الشيء وتلميعه[2]، كما حدد الحجاج(Argumentation) بكونه عملية فكرية تترابط فيها الحجج والأدلة بناء على طريقة تعرض بها الفكرة المعبر عنها للإقناع بها [3]، ويقوم الحجاج على منطلق تثبت به معلومة أو قضية وتدحض أخرى[4]، فيكون هناك انسجام بين المقدمات ونتائجها التي توفر الحكم أو الحجة الأساس التي تنطوي عليها الدعوة المقصودة، نورد تعريف "سيلارزM.O Sillars" الذي يعد الحجاج عملية عرض دعاوى تتواجد بها الكثير من الآراء، مدعومة بالحجج المناسبة قصد الحصول على الموالاة .

إذ يسمح الحجاج بفحص مختلف وجوه التفاعل الحجاجي[5]وكيف تؤثر الحجة في نهاية ما، أما عند "شييم بيرلمانch.Perelman" أطلق لفظ حجاج ومحاججة" Argumentation" على العلم وموضوعه، ومآلها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما

---

[1]– تعني لفظة حجاج في اللغة العربية. المنازعة بالحجة أو الدليل أو البرهان، مقابلة الحجة بأختها، ينظر ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط6 بيروت، لبنان، 1997 مادة حجج وجدل.

[2]– ينظر، حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1، 2010، ج1، ص2.

[3]– ينظر، جميل صهيب، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ج1، ص446.

[4]– ينظر، نعمان بوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 1، 2، 20 ، ص161.

- [5]ينظر، نعمان بوقرة، الخطاب والنظرية والإجراء، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 2015، ص70-71 .

يعرض عليه من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم[1] . إن الحجاج فعل كلامي مركب من أفعال كلامية أخرى، لها أثر في مقام التلفظ والمتلقي للخطاب، وربما كانت وظيفته محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار أو يزيد في درجة ذلك الإذعان إلى درجة تبعث على الفعل المطلوب[2].

2/الحجاج عند العرب:

الحجاج لغة:

يتصل الحجاج بالجذر اللغوي(ح ج ج)، وجاء في لسان العرب أن الحج: القصد...يقال حاججتهُ أحاجُهُ حِجَاجاً ومحاجةُ أي غلبته بالحجج، والحجة هي البرهان.

وقال "الأزهري" : <<الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجلٌ محاجٌّ أي جُدَلٌ، وجمع حجه: حجج وحجاج و سميت حجة لأنها تحُجُّ أي تقصد، لأن القصد لها وإليها، والحجة: الدليل والبرهان>>[3]. يكشف المعنى المعجمي للحجاج إحالات على مدى ما تستنبطه الكلمة من دلالات، فيشير المعجم إلى ظهور الخصومة حول قضية ما تستلزم طرفين، كما يكشف لفظ الجدال "شدة الخصومة...مقابلة الحجة بالحجة"[4]. ويضيف المعجم جملة من الأوصاف والنعوت إذا ما ارتبطت بأهل الحجاج، فإيراده : حاججته أحاجه حجاجا حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها؛ تبين اعتناء العرب بالحجاج ومحاولتهم لتأصيل مفهومه داخل الموضوعات التي ترتبط بالخصومة والتنازع، ومن ذلك نجد مؤلفا كـــ "جواهر الألفاظ" يدعم أوصاف المتحاجّين بما وصفتهم به ألسنة

---

(1) نقلا عن: - Perlman et Tytecur ,traite de Argumentation, La nouvelle Benthonique Presse Universitaire de Lyon1981-P92 .

(2)– ينظر، نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، جداراً للكتاب العالمي، إربد، ط1، 2009، ص106–107.

(3)ابن منظور، لسان العرب، مادة ح.ج.ج ، ج2 ،ص228.

(4)-المرجع السابق . مادة ج.د.ل، ج11، ص105.

العرب، ومن مثل «إن حاج فلج...أفحمته حجتي...قوي الحجة>> [1] . وهو يشير إلى اختلاف يحتاج إلى وسيلة تقرب بين الطرفين أو يظهر صحة حجج أحدهما. وإن كان الحجاج بعد بلاغة المنطق[2]، فهو أيضا يعد من أدوات المنطق البلاغي من منطلق أن الدراسات البيانية وضع أساسها أبان معالمها للمتكلمين[3].

3/ البلاغة الجديدة و نظريات الحجاج:

البلاغة الجديدة في العصر الحديث بُلاغاتٌ كما يقول "روبول Roboul"[4]. لكن يمكن أن نعتبر البلاغة التي جاء بها "بيرلمانPerlman" و" تيتيكاTytecaً" هي هذه البلاغة الجديدة كما ينص عليها ذلك عنوان كتابهما الفرعي مصنف في الحجاج – البلاغة الجديدة.

وقولهما جديدة يقتضي وجود بلاغة قديمة وهذه البلاغة القديمة هي بلاغة "أرسطو" من ناحية والبلاغة الأوروبية السائدة في القرن التاسع عشر وما قبله من ناحية أخرى.

كان "أرسطو" ينطلق من كون الخطابة إنما هي: <<الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع>>[5]، وهذا الإقناع يتوقف عند "أرسطو" على ثلاثة أركان هي أولا: "أخلاق القائل"[6]. وهو ما يمكن أن نسميه بحجة الإيتوسEthos، وثانيا: "تصيير السامع في حالة

---

[1]– قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان– بيروت، ط1، 2012 ص160–167.

[2]– قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ، ص05.

[3]– بدوي طبانة، البيان العربي دراسة تاريخية فنية في الأصول البلاغية العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. مصر ، ط2، 1958م ، ص42.

[4] – نقلا عن : Olivier Roboul , Introduction à la rhétorique , PUF 1994 , P96

[5] – نقلا عن : أرسطو، الخطابة، تعريب عبد الرحمان بدوي، بغداد، ط 2، 1986، 1355.

[6] – المرجع نفسه، 1355ب .

نفسية ما"[1]، وهو ما يمكن أن نسميه بحجة الباتوسPathos، وثالثا: "القول نفسه من حيث هو يثبت أو يبدو أنه يثبت"[2]، وهو ما يمكن أن ننعته بحجة اللوغوسLogos أي العقل.

وفي مواضع مختلفة من كتاب الخطابة يعود "أرسطو" إلى هذه الأقسام الثلاثة التي يقوم عليها فن الإبلاغ فيقول في أحدها باسطا القول في ما أسميناه حجة الإيتوس، أي الأخلاق؛ أخلاق الخطيب: << والخطيب يقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يُلقى على نحو يجعله خليقا بالثقة، لأننا نستشعر الثقة على درجة أكبر وباستعداد أوسع بأشخاص معتبرين في كل الأمور وبوجه عام (...) وهذا الضرب من الإقناع ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم، لا عن طريق ما تظنه الناس عن خلقه قبل أن يتكلم>>[3].

وعليه يشترط "أرسطو" في الخطيب أن يكون قادرا على << فهم الخلق الإنساني والخير في مختلف أشكالها>>[4] ويقول في الوضع نفسه متحدثا عما أسميناه حجة الباتوس: <<إنّ الإقناع يمكن أن يتم بواسطة السامعين إذا كانت الخطبة مثيرة لمشاعرهم.ونعتقد أن معظم الذين يصنفون في الخطابة اليوم يريغون إلى توجيه كل جهودهم نحو إحداث هذه الآثار>>[5].

أما حجة اللوغوس فيقول عنها في الموضع نفسه: << وأخيرا، فإن الإقناع يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة[6]>>. ومن يملك هذه الحجة أو الوسيلة في الإقناع فيجب عليه أن يكون كما قال "أرسطو"<< قادرا على التفكير المنطقي>>[7]. هذه الأنواع الثلاثة يتناسب كل واحد منها

---

[1] – نقلا عن : أرسطو، الخطابة، تعريب عبد الرحمان بدوي، بغداد، (1355ب).

[2] – المرجع نفسه، (1355ب).

[3] – المرجع نفسه، (1355 أ).

[4] –المرجع نفسه، (1356 أ).

[5] – المرجع نفسه، (1356 أ).

[6] – المرجع نفسه، (1356 أ).

[7] – المرجع نفسه، (1356 أ).

مع نوع من أنواع الخطابة. وهي أيضا ثلاثة: "الخطبة المشورية – الخطبة المشاجرية – الخطبة التثبيتية". "فالخطبة المشوريةDiscours Délibératif" غايتها بيان النافع والضار والتوصية باتباع أقوم المسالك، واجتناب أسوئها، تناسبها حجة الإيتوس فعلى الخطيب في الخطبة المشورية أن يتزين بحسن الخلق فيما يتوجه به إلى السامعين حتى وإن كان على غير ذلك الخلق في الواقع.

وأما " الخطبة التثبيتية Discours Epidictique "التي قوامها المدح والذم؛ مدح الشريف وذم الخسيس فتناسبها حجة الباتوس.

وأما "الخطبة المشاجريةDiscours Judiciare" التي غايتها بيان العدل والظلم وقوامها الاتهام والدفاع فتناسبها حجة اللوغوس، أي الكلام نفسه فهنا يكمن كما يقول "روبول": << المظهر الجدلي بحق في بلاغة "أرسطو" وقد أخذه بحذافيره من كتاب الطوبيقا. وقوام الحجاج في مثل هذه الحالة الضمير L'enthymème والمثل L'exemple>>[1] فعلى هذا اعتبر"أرسطو" الخطابة فرع من الجدل أيضا [2].

لقد قامت بلاغات القرن العشرين في مجملها على بعث بلاغة "أرسطو" بوجوهها أو أنواع حججها الثلاثة المذكورة بحيث أصبح لنا في القرن العشرين على نحو ما يرى "مايير" ثلاثة اتجاهات بلاغية كل واحد منها يشدد على نوع من أنواع هذه الحجج أو الوسائل وذلك على النحو التالي :

---

[1]–نقلا عن : Olivier Roboul , Introduction à la rhétorique , PUF 1994 , P 60

[2]–نقلا عن: أرسطو، الخطابة، تعريب عبد الرحمان بدوي، بغداد ، (1356 أ).

وسيلة الإقناع نوع الحجة	الإيتوس Ethos	اللوغوس Logos	الباتوس Pathos
بلاغة	"بورك Burke" (1950)	"ديكرو" (1972) فريق "مو" (1970)	"ريتشاردز"(1936) البلاغةالأمريكية "ويفر Weaver" (1950)
حجاج	"هابرماس"(1968) نظرية التواصل وأعمال اللغة "سورل"(1969)	"بيرلمان"(1958) "تولمين"(1958)	"كادمار"(1960) الهرمينوطيقا نظريةالتلقي"آيزر"(1976و1977)

ونجد المؤلفين في مواضع مختلفة من مصنفهما يلحان على فكرة الاقتصار على دراسة الحجاج من خلال حضور الكلام مجردا من كل علاقة تواصلية بين الخطيب وجمهور سامعيه من ذلك قولهما << شغل دراستنا الشاغل بينة الحجاج. فلن تلحّ على دراسة الطريقة التي بها يحصل التواصل مع الجمهور>>[1] أو قولهما: << الحجج التي ليست عائدة إلى التقنيات البلاغية لا يهمنا أمرها في هذه الدراسة>>[2].

ومن وجوه الجدة في بلاغة "بيرلمان" بالقياس إلى بلاغة "أرسطو"، وإن كانت بعثا لها، تختلف عنها من حيث المتلقي . فمتلقي تلك البلاغة أو الخطابة ربما كان أحمق جاهلا عجلان غير متروٍّ. وهو ما جعل "أفلاطون" ينتقد البلاغة أو الخطابة في القديم. أما بلاغة "بيرلمان" الجديدة فموجهة إلى الفكر. وهو ما يفسر في نظر "بيرلمان" اعتماده

---

[1]–نقلا عن : Olivier Roboul , Introduction à la rhétorique , PUF 1994 , P 08

[2]– المرجع نفسه، p11.

بمعية صاحبته "تيتيكا" نصوصا فلسفية عقلانية لتكون مدونة تدرس لهما، هذا بالإضافة إلى عدم اقتصارهما على ماهو شفوي بل يلحّان على ضرورة أن تكون مدونتهما كتابية أساسا. مع إهمال تام لبعض ما كانت تراه البلاغة القديمة أساسيا مثل العمل والإلقاء الخطابي والحجج الخارجية.

هذه بعض وجوه الجدة في بلاغة "بيرلمان" بالقياس إلى بلاغة يونان. أما جدّتها بالقياس إلى بلاغات القرن التاسع عشر فتمثل في كون تلك البلاغات إذا ركزت درسها على جانب وحيد هو العبارة قصرت دورها على دراسة الوظيفة الجمالية التزويقية في الكلام واعتبرت البلاغة.

من هاتين البلاغتين القديمتين نشأت بلاغة "بيرلمان" و"تيتيكا" الجديدة تحت تسمية مرادفة لها هي "الحجاج" وعرفه الباحثان بالقول: << غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى>> [1] .

4/ الأشكال والأساليب الحجاجية:

عند "بيرلمان" و"ديكرو" كلٌّ على طريقته نزوع إلى شكلنة الصور الحجاجية التي يرد عليها الكلام في مختلف استعمالاته .

ف "بيرلمان" على سبيل المثال يحصر الأشكال والأساليب أو الصور الحجاجية أو الطرائق الحجاجية في اثنتين هما:

1-الطريقة الاتصالية أو الوصل .

2-الطريقة الانفصالية أو الفصل.

---

[1]- عبد الله صولة، الحجاج أُطُره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج ، ص 269، البلاغة الجديدة ضمن حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب منوبة، تونس [1998].

أما الوصل فيقوم على ضم الفكرة إلى الفكرة وإن تباينتا، وجعل الواحدة بسبب من الأخرى للوصول إلى نتيجة واحدة. من ذلك على سبي المثال ما يسميه "بيرلمان" الوصل المؤسس على بنية الواقع (مثل الحجج القائمة الوصل السببي) وما يسميه الوصل المؤسس للواقع مثل (الاستعارة والتمثيل).

إنّ طرائق الوصل في الحجاج تعمد إلى العناصر المتباينة فنُدمج أحدهما في الآخر ونجعل أحدهما بسبيل من الآخر. وأما طرائق الفصل فبالعكس إذ يُعمَد فيها إلى ما هو كلٌّ فيحدث فيه فصل بين حقيقته وظاهره كأن نقول: هذا الرجل ليس رجلاً أو ما هكذا يكون العدل.

أما "ديكرو" و"أنسكومير" فإنهما وإن اختلفا عن "بيرلمان" اختلافا كبيرا من حيث المنطلقات وطرق المعالجة للكلام الحجاجي فإنه يمكن لنا أن نجمل طرائق هيكلة العامل الحجاجي للملفوظ عندهما في اثنين: فهي إما هيكلة بالوصل والضم بحيث يأتي العامل الحجاجي الداخل على الملفوظ ليقوي توجه هذا الملفوظ إلى النتيجة المطلوبة ؛ كان هذا على الأقل في مرحلة ما يسمى بالحجاجية الضعيفة التي نُقِّحت بحجاجية الموضع القوية. وقد وجدت هذه الهيكلة بلورتها النظرية في مفهوم السلالم الحجاجية .

إنّ مفهومي الوصل والفصل عند "بيرلمان" وقد طغى عليهما الطابع الفلسفي المجرد، يجدان تحققهما اللغوي وإن جزئيا في رسم السلالم الحجاجية و الربعات الحجاجية في نظريات "ديكرو" و"أنسكومير" الحجاجية.

5/ البلاغة العربية والنظريات الجديدة في الحجاج:

تقوم كتب البلاغة العربية منذ "السّكاكي " على تعارض بين مفهومها للبلاغة وطريقة تناولها بالدرس لمختلف الوجوه البلاغية بياناً ومعنىً وبديعاً. فيقدر ما يقترب مفهوم البلاغة فيها من مفهوم الحجاج، خصوصا فيما يتعلق بمراعاة قانون الأنفع في الخطاب، ومن تعريفات البلاغة في اللغة والاصطلاح قولهم: << البلاغة في اللغة الوصول

والانتهاء ومبلغ الشيء منتهاه(...) وبلاغة الكلام في الاصطلاح مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها>>[1]. والمقصود بحال الخطاب عندهم المقام وهو عند "أحمد الهاشمي"<< الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى>>[2].

لقد حاول "السّكاكي" أن يُشَكِّلِن وجوه الكلام في مطابقتها لمقتضى الحال على النحو التالي: << مقتضى الحال؛ فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم. إن كان بخلاف ذلك فحسن الكلام تحلّيه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفاً وقوةً، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة، فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب. وإن كان المقتضى إثباته مخصصّاً بشيء من التخصيصات، فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها. وكذا إن المقتضى عند انتظام جملة مع أخرى فصلها أو وصلها، والايجاز معها أو الإطناب، فحسن الكلام تأليفه مطابقا لذلك>>[3].

وقد يُتوّج درس البلاغي للوجه البلاغي بخاتمة تُنوِّه بقيمته البلاغية من حسن تصوير وتأثير في النفس[4]. أما درس الآليات التي يحقق بها كل شاهد من شواهد البيان والمعاني والبديع قيمته البلاغية باعتبار البلاغة تبليغ المعنى وايصالحجة المتكلم إلى

---

[1]– أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص31–33.

[2]–أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص 33.

[3]– مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص256–257.

[4]– أنظر مثالا على ذلك قول الهاشمي في خاتمة درسه << أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار وروعة الخيال وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها فمجال فسيح الابداع...>>. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة . مرجع مذكور، ص344.

السامع فهذا مما لا نكاد نعثر عليه إلاّ عرضا حتى تحولت كتب البلاغة إلى قوائم في وجوه البيان والمعاني والبديع لا روح فيها ولا حياة.

وحتى كتب البلاغة ذات الهدف التعليمي فإنّ ما تُذَيّل به من تمارين لا يعدو طلب تعيين وجه بلاغي أو ذكر طريقة إخراجه أو نوعه. وأخطر من ذلك كله أنّ الشواهد البلاغية في جميع هذه الكتب لا تكاد تتغير مما يولّد الانطباع بأنه لا بلاغة خارج هذه الشواهد وهو ما زاد في تكلُّس الدرس البلاغي العربي.

إذن كيف يمكن لتطبيق قانون الأنفع حجاجيا من ناحية ومقاربة الفصل والوصل الحجاجيين من ناحية أخرى أن يبعث الحياة في الدرس البلاغي العربي محوّلاً تعليمية البلاغة العربية من تعليمية معيارية وصفية إلى تعليمية تواصلية .

سنقتصر على عينات ممثلة لكل علم من علوم البديع والبيان والمعاني فنأخذ عند تطبيق مبدأ الأجدى والأنفع حجاجيا مشاكلة اللفظ للمعنى والاستعارة والتشبيه والمجاز المرسل والخبر والانشاء يحل أحدهما محل الآخر في الخطاب. ونأخذ عند تطبيق الأشكال أو الأساليب الدائرة على الوصل والفصل الحجاجيين وجوها بلاغية ممثلة أيضا لهذه العلوم الثلاثة هي الاستعارة والتشبيه والمجاز المرسل والقصر والإطناب من تذييل واعتراض وتتميم واحتراس ومطابقة أو مقابلة.

إنّ هذه الوجوه كلها لا تخلو من عدول عن طريقة(ب) إلى طريقة(أ) فبعضها عدول نوعي؛ جدولي ونسقي وبعضها عدول كمّيّ (داخل الجملة الواحدة أو بين الجمل مما توسعنا في عرضه في عمل آخر)[1].

[1]–عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات جامعة منوبة، تونس 2001.

الفصل الثاني: آليات التأثير في رسالة الغزالي

أولا : آليات الحجاج وأدواته

ثانيا : أدوات السلم الحجاجي اللغوية

ثالثا : العوامل الحجاجية

يعد كتاب أيها الولد للإمام الغزالي بمثابة رسائل وتوصيات لأحد تلاميذه الذين لازموا خدمته ، وقد طلب منه نصائح من خلال بعض أسئلة أرسلها له ليرشده عن أنفع العلوم له بالدنيا والآخرة ، فرد عليه الشيخ الغزالي رسالة أيها الولد في كتابه .

تضمنت افتتاحية الرسالة تذكير تلميذه بتاج التقرب من الله وحسن الإسلام، وهو البعد عن كل ما لا يعني العبد ويشغله عن طاعة الله. ومما تطرق له هو أهمية التطبيق العملي للعلم الذي يدرسه الإنسان بنصيحته أنّ دراسة العلوم المجردة دون تطبيقها عمليا لا يجدي نفعا للمرء ولا أمته.

والعلم الديني أسمى، وبآثاره تزيد النعم ويبقى خير الإنسان إلى ما بعد وفاته، حيث الباقيات الصالحات خير عند الله . وإضافة إلى ذلك اشتملت هذه النصيحة على اجتناب الشهوات والبعد عنها عند الأخذ بالعلم حتى يبلغ به المرء رضا الله وتحقيق غاية عظمى. وتطرق الغزالي في نصيحته إلى نية المرء من سهره الليالي في طلب العلم ؛ فإن كانت لغرض دنيوي فإن طريقها الهلاك، وإن كانت في سبيل الله فطوبى للساهر. والاختلاط بالناس له نهاية والانشغال بالطاعة الإلهية هو أفضل غاية ، فكلنا ميتون ، فليفعل كل امرئ ما يرغب. وقد قال الإمام في رسالته أن للإنسان ما يرغب من كل العلوم، لكن العلم الشرعي هو الذي يبقى وهو الأولى. ودعا أيضا لدعوة صريحة بها؛ بأن علما بلا عمل لا يجدي نفعا، وعملا بلا علم فهو نوع من الاتكال. والروح العالية هي المليئة بالهمة القوية، وأن يملأ الإنسان روحه عزة وحسنات إلى أن يصل لقبره خير من تركها هباء منثورا. وبها دعوة للإنسان ألا يكون كالأنعام بل أضل في هذه الدنيا الفانية، بل عليه أن يسعى جاهدا ليكسب الحياة الآخرة ويتجنب عذاب النار. ومثال ذلك قيام الليل وما له من آثار عظيمة على نفس المؤمن وروحه وبدنه وسلوكه ؛ حيث علما وعملا في آن واحد هدفه التقرب إلى الله تعالى.

وفيما يتعلق بسلوك الإنسان فقد نصح الغزالي تلميذه بأن يطابق قوله عمله، فحديث المرء عنوانه عند التطبيق العملي والتصرف مع الآخرين. وقد ذكر دلائل حية من الأولين دالة على عظم ذلك الأمر، بأنهم كانوا يعملون بقدر ما يسعون إليه في هذه الدنيا وما يطمحون إليه في الآخرة. فذلك أسلم وأنعم للمرء وحياته، وذلك يتعلق بفائدة العلم التي يجب أن يحصل عليها المرء جزاء عمله، حيث سأل " البلخي حاتم الأصم " عن فوائد العلم التي حصلها من خلال صحبتهم، فأجابه حاتم الآتي: إنّ المرء مهما صاحب من بشر على درجات إيمانهم وإحسانهم فلن ينفعوه بقدر عمله الصالح الذي سيذهب معه إلى قبره، وإنّ جهاد النفس بالبعد عن الهوى هو طريق الجنة بعينه.

وتطرق الغزالي في وصيته إلى ذكر ماهية التصوف لطالب العلم ؛ وهو الاستقامة وحسن الخلق، ومن ثم عرّف طبيعة وماهية العبودية له ، وهي ترتكز على ثلاثة أمور: الحفاظ على شرع الله والرضا بالقدر ورضا الله تعالى. وعن التوكل قال:" ما سيحث لك هو مصيرك المكتوب وإيمانك به توكلك". وعن الإخلاص بأن يكون العمل خالصا لوجه الله بغض النظر عن رضا الناس وذمهم، أما مدحهم فيولّد الرياء واجتناب ذلك أولى. وأما عن كسب العلم أخبره أن تعمل ما تعلم هو خير لك كي تعلم الجديد. وعن أمور أخرى أوصاه بالسؤال عن المفيد، والصبر عن كل ما يحلو له أو يقيده، وأن يبذل جهدا عظيما كي تسمو روحه ، لأنّ سمو الروح من سمو النتيجة التي يحصل عليها.

ثمان وصايا طلبها الإمام من تلميذه، أربعة منها يعمل وأربعة يدع، فالأربعة التي يدع هي عدم مجاراة الأحمق وجداله، ولا تتداوى عند أسوأ الأطباء والجهلاء.

وثاني ما يدع المرء هو أن يحذر المرء من ألا يفعل شيء يقوله، كأن يكون أمام الناس واعظا مذكّرا ومن خلفهم خلاف ذلك.

وثالث ما يدع هو البعد عن مخالطة الأمراء والسلاطين ورؤيتهم لأن ذلك آفة للدين وفتنة.

ورابع ما يترك هو عدم قبول عطاء الأمراء وهداياهم حتى لو كانت حِلاً له .

أما عن الأربعة التي عليه فعلها واتباعها؛ فأولها أن تكون طاعة الله فوق كل شيء ورضاه فوق كل رضا. أما الثاني أن يكون العلم علما نافعا يصلح به القلب ويرتاح له الفؤاد. والثالث هو أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك. أما الرابع بألا تكون الدنيا هي أكبر همه وألا يجمع منها أكثر من كفاية سنة.

وفي نهاية الرسالة طلب الإمام الدعاء من تلميذه ليكون دعاء خير له ولغيره.

أولا : آليات الحجاج وأدواته:

الخطاب الحجاجي ميدان ثري للدراسات المتنوعة، وذلك لتعدد الأبعاد التي ينطوي عليها. ويمكن أن نلمس هذا من خلال تعريفه تعريفا مبسطا، إذ إنّ " الحجاج ممارسة لفظية، اجتماعية، عقلية تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبولية الموقف بصياغة مجموعة تراكمية من القضايا التي تبرر الدعوى المعبر عنها في الموقف، أو تدحضها"[1] فانطلاقا من هذا التعريف يمكن أن نقف على مكونات حطاب الحجاج الرئيسة؛ لأن ممارسة الحجاج الفعلية تتبلور فيه، وتتجسد أبعاده في ثناياه؛ مثل الأبعاد السياقية والمنطقية واللغوية. فالخطاب الحجاجي ثمرة لقدرة الإنسان التواصلية بوصفه ممارسة ناتجة عن تفعيل الكفاءة الحجاجية ذاتها؛ لهذا "يفترض أن ننظر إلى الحجاج ضمن الإطار الكلي لعملية التواصل الإنساني"[2].

وللحجاج بوصفه ممارسة، ثلاثة مكونات كبرى هي المكون السياقي/الثقافي، والمكون المنطقي، والمكون اللغوي. إذ تسري علاقات التأثير بين هذه المكونات الثلاثة سريانا طبيعيا ولازما بوصف المكون السياقي هو مكون المدخلات الرئيسة، والمكون اللغوي هو مكون المخرجات النهائي، وذلك عندما ينشأ تأثير السابق في اللاحق نتيجة لدور كل منهما في الممارسة الحجاجية، إذ يربط المكون المنطقي بين مكونات المدخلات، أي المكون السياقي، ومكون المخرجات؛ المكون اللغوي؛ مما يجعل المكون المنطقي مكونا متأسسا على السابق ومتأثرا باللاحق. إذ يصوغ مستعمل اللغة الطبيعي خطابه الحجاجي وفق المقتضيات المنطقية التي توجهه في اختيار أدواته المنطقية وآلياته الاستدلالية، وهو لا ينبت في هذا الحال عن انغماسه في سياقه الحجاجي من جهة، والاستجابة لمقتضيات اللغة الطبيعية من جهة أخرى، مما يمكن أن نصف منطقه الحجاجي هنا بالمنطق الاستدلالي؛ لأن "معظم الاستدلالات مما يجري في عالم الناس تتم

---

(1)–نقلا عن: France Eemeren ,Van Grootendorst ,A SystématicThéory of Argumentation,Cambridge University Press, 1 published, 2004,p1.

(2) نقلا عن: -Jensen,J .Vernon, Argumentation ;Reasoning in Communication,D.VanNastrrand Company,USA,1981,p5.

صياغته في اللغة الطبيعية، شئنا ذلك أم أبينا"[1]. عند هذا الحد يمكن أن تتوغل العلاقة بينهما، فتتجاوز التأثير السطحي إلى التأثير التكويني عندما تصبح مخرجات المكون السياقي هي مدخلات المكون المنطقي، فتقربه من الاتصاف بالطبيعية بالقدر الذي تنأى به عن الاتصاف بالصورية.

ويتجلى الحجاج في نهاية المطاف في خطاب لغوي. وبتحليله، نجد أنه ينطوي على الأبعاد السالفة الذكر، فهو دليل عليها، ومنها المكون اللغوي الذي يرتبط تداوليا بالمكونات الأخرى، وهذه النتيجة هي التي تسوغ لنا النظر في الحجاج من خلال استصفاء لغته التي يقوم بها" ولقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستين وسورل، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج"[2] .

ويجب التقرير أن دلالة لغة الخطاب الحجاجية لا تتوقف على الظاهر من القول فحسب، بل يمكن أن يكون الحجاج بالخطاب غير المباشر أيضا؛ لأن النص كما يقول "أبو حامد الغزالي" ضربان: ضرب هو نص بلفظه ومنظومه؛ وضرب هو نص بفحواه ومفهومه، نحو قوله تعالى: { ولا تقل لهما أف}.{ولا تظلمون فتيلا}.{فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره}.{ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك}. فقد اتفق أهل اللغة على أن فهم ما فوق التأفيف من الضرب والشتم، وماوراء الفتيل والذرة من المقدار الكثير، أسبق إلى الفهم منه من نفس الذرة، والفتيل والتأفيف. ومن قال إن هذا معلوم بالقياس، إن أراد به أن السكوت عنه عرف بالمنطوق فهو حق، وإن أراد به أنه يحتاج فيه إلى تأمل، أو يتطرق إليه احتمال فهو غلط"[3].

---

[1]–جورج لايكوف، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2008م، ص9.

[2]– العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، الأحمدية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1426ه/2006، 15.

[3]– أبي حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق الدكتور محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1417ه/1997م، ج1، ص20.

ويزاوج المخاطِب بين هذين الضربين في الحجاج كما يزاوج بينهما في أغراض بينهما في أغراض الخطاب الأخرى، لأن المخاطَب يفهم ما يضمره في خطابه تماما مثلما يفهم ما يظهره فيه، فإذا كانت كفاءة المخاطِب التداولية تتجلى في صناعة الخطاب، فإن كفاءة المخاطَب التداولية تتجلى في تأويل الخطاب للوصول إلى مقاصد المخاطِب وإدراك حججه. ولا تتوقف أهمية مراعاة هذين الضربين في الممارسة الحجاجية، بل أمكن أن يعرف الحجاج انطلاقا من لغة خطابه طبقا لهما، فيصبح" دراسة العلاقة بين القول الصريح والقول الضمني"[1].ويعتمد الحجاج بالخطاب الطبيعي على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فيعمد المخاطِب إلى توظيف الأدوات اللغوية، بمعانيها وخصائصها و إمكانياتها المعروفة وتنوع وظائفها في السياقات الممكنة. ويقسم "بيرلمان" تقنيات الحجاج اللغوية إلى فئتين هما: تقنيات طرق الوصل، وتقنيات طرق الفصل. ويقصد بالأولى" ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا... وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"[2].

وليست هذه الأدوات هي الحجج بعينها، كما أنها لا تستوعبها كلها، ولكنها قوالب لها أدوارها التي تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج، أو تعين المخاطِب على تقديم حججه بالطريقة التي تناسب السياق. واستنادا على كثير من النظريات الحجاجية يمكن تقسيم آليات الحجاج بعامة إلى:

1- الأدوات اللغوية الصرف:

---

[1]– مايير، ماشيل، المنطق واللغة والحجاج، ترجمة محمد أسيداه، بحث لنيل الإجازة في اللغة العربية وآدابها، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 1411ه/1991م، ص124.[ضمن هذا الكتاب].

[2]–نقلا عن : Ch. Perlman and L. Olbercbts: The new rhetoric , Ibid., p . 190

مثل ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل السببي، والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية، والحجاج بالتبادل، والوصف، وتحصيل الحاصل.

2- الآليات شبه المنطقية:

يجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية. ويندرج ضمنه كثير من الأدوات اللغوية مثل الروابط الحجاجية(لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد)، ودرجات التوكيد والإحصاءات وبعض الآليات والصيغ الصرفية. مثل التعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة.

أ – الأدوات اللغوية:

أ/أ : أدوات التعليل:

من الأدوات التي يستعملها المخاطِب لتقديم حججه في الخطاب ما يمكن أن نصطلح عليه بألفاظ التعليل؛ مثل المفعول لأجله، وكلمة السبب، ولأن. إذ لا يستعمل المخاطِب أي أداة من هذه الأدوات، إلا تبريرا لفعله أو تعليلا له، بناء على سؤال ملفوظ به أو سؤال مفترض.

فالمفعول لأجله من ألفاظ التعليل، مهما يكن وجه وروده في الخطاب بوصفه ؛

" المصدر الذي يدل على سبب ما قبله(أي بيان علته) ويشارك عامله في وقته، وفاعله وهو ثلاثة أقسام قياسية: مجرد من أل، والإضافة ومضاف ومقترن بأل وهذا القسم دقيق استعماله وفهمه، قليل التداول قديما وحديثا"[1].

وتعد (لأن) من ألفاظ التعليل، بل هي من أهمها. فقد يبدأ بها خطاب الحجاج. وتستعمل لتبرير فعل كما تستعمل لتبرير عدمه، مثل الخطاب التالي:

أيها الولد...

[1]– عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، ص237.

النصيحة سهل، والمشكل قبولها، لأنها في مذاق متّبعي الهوى مرٌّ. إذ المناهي محبوبة في قلوبهم على الخصوص لمن كان طالب العلم الرسمي مشتغلا في فصل النفس ومناقب الدنيا، فإنه يحسب أن العلم المجرد له سيكون نجاته...[1].

فالمخاطب يبرر سبب عدم تقبل النصيحة من أهل العلم، إذ يرمي في هذا الخطاب إلى إقناع المخاطب بالسبب الذي دفع متتبعي الهوى إلى رفض النصيحة من أهل العلم، وبهذا يقرر أن الرابط السببي (لأنّ) يمكن أن يستعمل في الحجاج بغض النظر عن فعل الكلام المنجز.

ومن أدوات التعليل ما يسمى بالوصل السببي، وهو أن يعمد المخاطِب إلى الربط بين أحداث متتابعة، مثل الربط بما يمكن أن يكون المقدمة والنتيجة، لتصبح النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى، مثل: " وكان أبو عبد الرحمن الثوري يجلس مع ابنه يوم الرأس ويقول له: إياك ونهم الصبيان...فقد قال بعض الحكماء: إذا كنت نهما فعدّ نفسك من الزمنى، واعلم أن الشبع داعية البشم، والبشم داعية السقم، والسقم داعية الموت"[2].

فالبشم هو نتيجة الشبع، وهو مقدمة حجاجية لحصول السقم، والسقم نتيجة للبشم، ولكنه يصبح المقدمة لنتيجة الموت، وعليه فإن الوصل بين المقدمة الأصل والنتيجة هو وصل تتابعي تسلسلي بين الشبع بوصفه العلة الأساس والموت بوصفه نتيجة نهائية له، كل هذا من وجهة نظر الأب. وقد أوردها أبو عبد الرحمن الثوري بهذا التسلسل عندما استطاع أن يربط بينها ربطا يشبه الربط المنطقي في الخطاب.

وقد يرد الحجاج بالتعليل السببي عند استعمال التراكيب الشرطية الظاهرة، وذلك أدعى لتوليد حجج جديدة ذات صلة بالحجة الأولى، مثل خطاب مرشد الخير للإصلاح بين

([1])– حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، ط4،1431هـ– 2010م، ص94 .

([2])– أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى1404ه– 1983م، الجزء السابع، ص205.

سبيع بن الحارث وبين ميثم بن مثوب، إذ قال لهما: "...فإنه إذا سُفكت الدماء، استحكمت الشحناء، وإذا استحكمت الشحناء، تقبضت عرى الإبقاء، وشمل البلاء"[1].

إذا كانت كل حجة من الحجج الأولى مقدمة ظاهرة تستبع نتيجة، فتصبح النتيجة مقدمة لما بعدها. فسفك الدماء هو مقدمة للنتيجة التي هي استحكام الشحناء لتصبح مقدمة للنتيجة التي بعدها وهي تقضب عرى الإبقاء وشمول البلاء، ويمكن بناءً على هذا التسلسل الشرطي الظاهر، الربط بين أول مقدمة وآخر نتيجة في الخطاب، فيصبح سفك الدماء هو مقدمة عرى الإبقاء وشمول البلاء، كل ذلك باستعمال التراكيب المبدوءة بأداة الشرط "إذا".

إن الربط بين المقدمة والنتيجة بالانتقال من إحداهما إلى الأخرى في تسلسل معين وباستعمال أدوات لغوية معينة، هو ما يسميه "بيرلمان" بالحجة التداولية، وهي الحجة التي تمنح فرصة التقويم لعمل ما أو حدث، بالنظر إلى تتابعاتها المرغوبة أو غير المرغوبة[2].

أ/ ب: الأفعال اللغوية:

يرى "فان ايمرين و غروتن روست" أنّ الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج، إذ يضطلع كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب وترتيب الأفعال حسب مقدار الاستعمال؛ فالمخاطِب يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري، إن لم يكن كلها، وذلك ليعبر عن وجهة نظره وليحدد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه منخلال التأكيد أو الادعاء، ولتدعيم وجهة نظره أو للتراجع عنها عند اقتناعه بأنها لم تعد صالحة، كما يعبر بها عن تنازله عن دعواه، وكذلك لتأسيس النتيجة[3].

ويريان أن الهدف من الخطاب هو الفيصل لتصنيف الخطاب الحجاجي من غيره. فالهدف من الخطاب الحجاجي هو إزالة شك المخاطَب في وجهة النظر محل الخلاف.

---

[1]– أحمد زكي صفوت، جهرة خطب العرب، المكتبة العلمية، بيروت، 1357ه، الجزء الأول، ص10.

[2]نقلا عن: - Ch./ Perlman and L. OlbrechtsTyteca, The new rhetoric, Ibid. .267–266P

[3]نقلا عن: - Frans H. Van Eemeren and Rob Grootendorst: Analyzing argumentative discours, In Robert Trapp and Janice Schuetz Ed perspectives an argumentation, Ibid., pp86-106.

ولهذا فقد تتبعا دور كل صنف من الأفعال اللغوية التي صنفها" سيرول"، إذ وجدا أن بعضها ذا دور حجاجي، أما البعض الآخر فليس له ذلك الدور.

فإذا كان الحجاج قائما على سؤال وجواب، فليس من الضروري أن يكون السؤال منطوقا به، بل قد يكون سؤالا مفترضا، لأنه يجسد الحجاج والاعتراض. وعليه فهو الذي يوجه مسار فعل الحجاج، فلكل اعتراض أو سؤال حجج تناسبه دون غيره، وبتغير السؤال تتغير الحجج. كما في هذين الخطابين: " رُوي أن المنذر الأكبر أهدى إلى "أنوشروان" جارية، كان أصابها إذ أغار على "الحرث الأكبر بن أبي شمر الغساني"، فكتب إلى "أنوشروان" بصفتها، فقال: إني قد وجهت على الملك جارية معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء قمراء، وطفاء كحلاء، دعجاء حوراء عيناء، قنواء شماء، برجاء زجاء، أسيلة الخد، شهية المُقبّل، جثلة الشعر، عظيمة الهامة..."[1].

إذ يجيب المنذر بهذه الحجج عن أسئلة متوقعة من المُهدى له، كما يبين فيها أيضا حكمه على الجارية، لأن الحجج معايير تدل على مدى تقديره للمخاطَب، وليست لمجرد وصف الجارية التي سوف يراها "أنوشروان" عندما تصله.

وقد يستعمل المخاطِب الاستفهام، أو النفي، أو الإثبات في الحجج بوصف هذه الأفعال اللغوية هي الحجج بعينها. إذ يعدّ الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا، إذ "إن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم"[2].

فمن أمثلة الاستفهام، هذه الأسئلة المتوالية :

أيها الولد...

---

[1]– أحمد زكي صفوت، جهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، مرجع مذكور، ص10–12.

[2]– القارصي، محمد، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل مايير، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم بإشراف حمادي صمود، جامعة منوبة، تونس، 1998م، ص399.

ما تقول في هذه الأحاديث؟ [بُنيَ الإسلام على خمس...وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا]1.

ودليل الأعمال أكثر من أن يحصى، وإن كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله وكرمه...ولو قيل أيضا: يبلغ بمجرد الإيمان؟

قلنا نعم. لكن متى يبلغ؟ وكم من عقبة كئود تستقبله إلى أن يصل؟

وقد يكون الحجاج من خلال استعمال الأسئلة التي تنتمي إلى الاستفهام التقريري، حسب ما يقتضيه الاستلزام الحواري، فالأسئلة أشد إقناعا للمخاطَب، وأقوى حجة عليه، وذلك عندما يكون قصد المخاطِب غير مباشر، كما في هذا الحوار المفترض مع الولد يريد المخاطِب من خلاله أن يقنعه بالعمل لنيل الجنة.

والاستفهام هنا هو الحجج في ذاته، وهو فعل حجاجي بالقصد المضمر فيه، كما يوجهه السياق، خصوصا بالترتيب الوارد أعلاه، الذي يؤدي بالمخاطَب إلى التسليم المرة بعد الأخرى. والمخاطِب يدرك كما يدرك المخاطَب أن هذه الأسئلة ليس استفهاما عن مجهول، إذ لا يجهل المخاطِب شيئا من هذه المعارف، كما لا يتوفر المخاطَب في أغلب الأحوال على معرفة تزيد على ما يعرفه المخاطِب. ولهذا فهي حجج باعتبار قصد المخاطِب لا باعتبار الصياغة والمعنى الحرفي فقط.

ب/الحجاج بالتبادل:

يحاول المخاطِب بهذه الآلية أن يصف الحل نفسه لوضعين في سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات، ويمكن أن تكون نقلا لوجهة النظر بين المخاطِب والمخاطَب. وذلك مثل الخطابات التالية:

أيها الولد...

(1) الحديث متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه .

ما لم تعمل لم تجد الخير1.

...قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن توزنوا]2.

وما يتميز به هذا النوع من الحجاج أنه دعوة المخاطِب للمخاطب لترسيخ مبدأ العدل بينهما والتساوي.

ويكثر هذا في النصائح لإقناع المخاطِب بجدوى ما يذهب إليه مثل: الحقيقة مرة كالدواء، ولكنها مفيدة.

جـــ / الوصف:

يشمل الوصف عددا من الأدوات اللغوية منها: الصفة واسم الفاعل واسم المفعول، وفيما يلي عرض لكل منها مع بيان دوره في الحجاج من خلال الأمثلة.

جـــ/أ: الصفة:

تعد الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمخاطب في خطابه، وذلك بإطلاق المخاطب لنعت معين في سبيل إقناع المخاطب، كما هو في الخطاب التالي الذي يهدف المخاطِب فيه إلى إقناعه بأن اللسان الطليق المتكلم بغير قيد، والقلب المطبق المغلق عن التفكير علامة الشقاوة:

[واعلم أن اللسان المطلق والقلب المطبق المملوء بالغفلة والشهوة علامة الشقاوة...]

إذ إنّ وصف اللسان بالمطلق والقلب بالمطبق كان حجاجا وسبيلا للشقاوة، لذا جعل الله عدة حواجز للسان حتى لا يكون سببا لمشاكل صاحبه، كما سخر له العقل حتى يكون تفكيره سليما وكلامه صحيحا.

---

[1]– حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، ط4،1431هـ–2010م، ص103. .

([2])– ينظر سنن الترميذي، مع تحفة الأحوذي ، كتاب القيامة، 7–156.

وبهذا، فإن الصفة تمثل جانبا في الفعل الحجاجي وعلامة عليه، فلا يقتصر المخاطِب على توظيف معناها المعجمي أو تأويله. وهذا ما يعطيها الطواعية والمرونة التي هي من صلب خصائص الخطاب الطبيعي في الممارسة الحجاجية، ليمارس المخاطِب أكثر من فعل واحد؛ بالتصنيف وبتوجيه انتباه المخاطب إلى ما يريد أن يقنعه به في حجاجه. ومتابعة استعمالاتها في كافة قنوات الحياة يثبت أن " من مظاهر اختيار المعطيات وجعلها ملائمة للحجاج اختيار النعوت والصفات.

جـــ/ب : اسم الفاعل:

اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يحاجج المخاطب بها ليسوّغ لنفسه إصدار الحكم الذي يؤيد أن تنبني عليه النتيجة التي يرومها وذلك بالتعويل على تعريفه بأنه "اسم مشتق يدل على معنى مجرد، فلا بد أن يشتمل على أمرين معا؛ هما: المعنى المجرد، وفاعله... ودلالة اسم الفاعل على المعنى المجرد أغلبية؛ لأنه قد يدل على المعنى الدائم أو شبه الدائم ودلالته على ذلك المعنى المجرد مطلقة، أي لا تفيد النص على أن المعنى قليل أو كثير، فصيغتهالأساسية محتملة لكل واحد منهما"[1].فقد يصدر المخاطب وصفه مباشرة، وقد يمهد له بخطابات معينة مثل:

أيها الولد...

قال سفيان الثوري–رحمه الله–:[إذا كان أول الليل ينادي مناد من تحت العرش: ألا ليقم العابدون، فيقومون ويصلون ماشاء الله، ثم ينادي مناد من شطر الليل: ألا ليقم القانتون، فيقومون ويصلون إلى السحر، فإذا كان السحر ينادي مناد: ألا ليقم المستغفرون، فيقومون ويستغفرون، فإذا طلع الفجر ينادي مناد: ألا ليقم الغافلون، فيقومون من فروشهم كالموتى نشروا من قبورهم]2.

---

[1]– عباس حسن، النحو الوافي، ج3، مرجع مذكور، ص 238–239.

[2]– حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، ط4،1431هـ–2010م، ص115. .

فالوصف "عابدون ، قانتون، مستغفرون، غافلون" هي اسم فاعل لم يستعمله المخاطب لمجرد الوصف، فهو لا يخبر هنا بل يحاجج.

أيها الولد...

رُويَ في بعض وصايا لقمان الحكيم لإبنه أنه قال: [يا بنيّ... لا يكونن الديك أكيس منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم]1.

فالوصف نائم هو اسم فاعل مصوغ من فعل ثلاثي، لم يستعمله المخاطِب لمجرد الوصف، فهو لا يخبر هنا، بل يحاجج وينصح ، فلا يخفى علينا أن كل شيء يسبح بحمد الله تعالى.

جـــ/جـــ: اسم المفعول:

ويصنف اسم المفعول على أنه من الأوصاف الحجاجية المستعملة، وهو "اسم مشتق" يدل على معنى مجرد غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلا بد أن يدل على الأمرين معا"(2).

وذلك مثل قول " حاتم الأصم لشقيق البلخي" عن الفوائد التي حصلها من العلم:

أني نظرت إلى الخلق فرأيت لكل منهم محبوبا ومعشوقا يحبه ويعشقه...3

فالوصف محبوبا ومعشوقا هي اسم مفعول مصوغ من أفعال ثلاثية لم يستعملها المخاطب لمجرد الوصف فهو لا يخبر هنا بل يحاجج بأن العمل الصالح فقط ما يدوم للبشر بعد موتهم، فمن كان له محبوب أو معشوق سيتركه حين مماته في القبر وحيدا فريدا، فما وجد غير الأعمال الصالحة تؤنس المرء وتدخل معه حتى في قبره.

---

[1]– المصدر نفسه، ص116.

[(2)]–عباس حسن، النحو الوافي، ج3، مرجع مذكور، ص271.

[3]– حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، ط4،1431هـ– 2010م، ص123. .

تحصيل الحاصل:

هناك من يعدّ بعض الخطابات مجرد حشو أو تحصيل حاصل لا تقدم شيئا في الخطاب، والحق أن كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالته الحجاجية.

ويمثل هذا الضرب بعض التنوعات الحجاجية والصور الخطابية، فمن التنوعات الحجاجية التي تمثل هذا الضرب الخطابي ما يسمى بالتمثيل، وهو ما يسميه "الغزالي" المطلب الثاني في القانون الأول عند ذكر الحد، وذلك ما يطلب بصيغة ما، ويطلق لثلاثة أمور[1]:

1- **الأول:** أن يُطلب به شرح اللفظ، كما يقول من لا يدري العُقار: ما العقار؟ فيقال له الخمر- إذا كان يعرف لفظ الخمر.

2- **الثاني:** أن يطلب لفظ محرر جامع مانع، يتميز به المسئول عنه من غيره كيفما كان الكلام، سواء كان عبارة عن عوارض ذاته ولوازمه البعيدة عن حقيقة ذاته، كقول القائل: ما الخمر؟ فيقال: هو المانع الذي يقذف بالزبّد، ثم يستحيل إلى الحموضة، ويحفظ في الدنّ. والمقصود أن لا يتعرض لحقيقة ذاته، بل يجمع من عوارضه ولوازمه ما يساوي بجملته الخمر، بحيث لا يخرج منه ولا يدخل فيه ما ليس بخمر.

3- **الثالث:** أن يطلب ماهية الشيء وحقيقة ذاته، كمن يقول: ما الخمر؟ فيقال: هو شراب مسكر معتصر من العنب. فيكون ذلك كاشفا عن حقيقته ثم يتبعه لا محالة التمييز.

ويسمي هذه الأوجه الثلاثة بالاشتراك حدا، ثم فصلها للبيان فسمى الأول حدا لفظيا، والثاني حدا رسميا، أما الثالث فقد سماه حدا حقيقيا، وهو الذي يشتمل على جميع سمات الشيء وبهذا يمكن أن يكون الحجاج بأي من هذه الحدود، بوصفها تعاريف مختلفة أو طبقات متفاوتة لذات واحدة، ولكن اختيار أي منها يخضع لما يريد المخاطب أن يقنع به المخاطب، كما يخضع لنظرته في الأشياء.

---

[1]- الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ص 48-49.

2/الآليات شبه المنطقية(السلم الحجاجي):

أ/ تعريفه وقوانينه:

تتجلى هذه العلاقة المجازية بين الدعوى والحجة، فتصبح العلاقة شبه منطقية. وإن كانت تتجسد من خلال الأدوات اللغوية فيتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتيبها بحسب قوتها، إذ لا يثبت إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق. وهذا الترتيب هو ما يسمى بالسلم الحجاجي، ومن أبسط تمثيلات ذلك ما يكتب عن الانسان عند عرض سيرته الذاتية من تراتبيات في حياته ونموه المعرفي وأعماله. ويمكن تعريف السلم الحجاجي بأنه << عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه. وله ثلاثة قوانين هي:

1- قانون الخفض.

2- قانون تبديل السلم

3- قانون القلب >>[1].

---

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277-278.

وأنظر أيضا: حول السلم الحجاجي الأعمال التالية:

-طه عبد الرحمن، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، العدد التاسع، 1987م، ص 7-21.

- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2000م، ص 105-107.

- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن(أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية، تونس، ص 363 -370 .

القانون الأول هو ما يسميه" طه عبد الرحمن" قانون الخفض، ومقتضاه: أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه في المراتب التي تقع تحتها[1]، وذلك مثل الحجاج بين أمرين، ينتقد أحدهما في حين يبرره الآخر، مثل قول "حاتم الأصم" عن الفوائد المستنبطة من العلم: **[أني رأيت الخلق يقتدون أهواؤهم ويبادرون إلى مرادات أنفسهم، فتأملت قوله تعالى :{ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى}،وتيقنت أن القرآن حق صادق، فبادرت إلى خلاف نفسي وتشمرت بمجاهدتها وما متعتها بهواها حتى ارتاضت بطاعة الله وانقادت]**[2].

بهذا وضع حاتم الأصم هوى النفس في درجة من سلم العلاقات التي تبدأ من النفس واتباع هواها، إلى مجاهدتها والوقوف ضدها، فهنا انتقد هوى النفس واتباعه ، في حين برر عدم هذا الاتباع والانقياد للنفس، وهذا ما أطلق عليه قانون القلب.

ومع أنّ السلم الحجاجي يبدو مقتصرا على العلاقات اللغوية أو شبه المنطقية، إلا أنه يمكن توسيع مفهومه، فلا يظل مقتصرا على الأدوات اللغوية أو الاستلزامات شبه المنطقية، وذلك بإدراج كثير من أدوات الحجاج وآلياته ضمنه، ليصبح إطارا عاما لتفاضل الحجج.

لا يقتصر المخاطب على المستوى النثري في حجاجه، بل يمكن أن ينتج المخاطب خطابه الحجاجي شعرا، إذ يعد خطابا، إذا توافرت فيه سمات الخطاب، مثل أي خطاب آخر. وقديكون الخطاب كله شعرا خالصا، بوصفه سجالا بين طرفين، كل منهما يحاجج الطرف الآخر شعرا، أو بوصفه حجاجا من طرف واحد. كما يمكن أن يكون الشعر جزءا من خطاب أعم بوصفه شاهدا مثل المثل أو الحكمة أو قول أحد السلف.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 277.

[2]–حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية' بيروت، لبنان، ط4، 1431هـ–2010م، ص123–124.

ثانيا: أدوات السلم الحجاجي اللغوية:

يتحقق الحجاج بالسلم الحجاجي باستعمال آليات شبه منطقية وأدوات لغوية، كالتالي:

1/ الأدوات اللغوية:

كالروابط الحجاجية مثل(**بل، لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب،**) السمات الدلالية، ودرجات التوكيد، ونستعرض كل منهم كما يلي:

أ/ دور الروابط الحجاجية:

هناك بعض الأدوات اللغوية التي يكون دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجاتها بوصفها حججا في الخطاب. ومن هذه الروابط: **لكن، حتى، فضلا عن،** وغيرها. وهذه الروابط هي ما يسميه المناطقة اللفظ –الأداة " وهو لفظ لا يدل بحد ذاته على أي معنى وإنما من طبيعته أن يربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها. وهو لا يصلح أن يكون موضوعا ولا محمولا في القضايا المنطقية"[1].

ومن هذه الأدوات حرف "**لكن**" وهو حرف استدراك. ومعنى الاستدراك أن تنسب حكما لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها. كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلبا، وإن إيجابا. ولذلك لا يكون إلا بعد كلام ملفوظ به أو مقدر، ولا تقع "**لكن**" إلا بين متنافيين بوجه ما، قال "الزمخشري": لكن للاستدراك، توسطها بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا. فتستدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي، والتغاير في المعنى بمنزلته في اللفظ "[2].

---

[1]– نجم الدين القزويني، الشمسية في القواعد المنطقية، تقديم، تحليل، تعليق، وتحقيق مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1998م، ص48.

[2]– الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة و الأستاذ محمد نديم فاضل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413ه-1992م، ص591.

تضطلع بعض الأدوات اللغوية بدور حجاجي، يتمثل في "الربط بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب"[1]، من بينها(**لكن، بل، حتى، إذن، لأن، بما، أن...**) وتقوم بالربط بين قولين فأكثر، ضمن هدف إقناعي واحد، ولكن رابط سمة حجاجية وتداولية يمكن ضبطها أثناء الاستعمال.

1- الرابط الحجاجي "لكن":

هي أداة حجاجية تربط بين قولين متفاوتين في القوة، وهي تفيد الاستدراك، وهو "تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام التي ترد على الذهن بسببه، وهو يقتضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي"[2]، فاستعمال أداة الاستدراك **(لكن)** يكون من أجل إزالة الوهم وإبعاده "فكأنك لما أخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني فتداركت بخبره إن سلبا أو إيجابا، ولا بد أن يكون خبر الثاني مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك."[3]ويقع القول الثاني بعد **(لكن)** أقوى من القول الأول.

كما ورد في الخطاب الآتي:**[والإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان.**

ودليل الأعمال أكثر من أن يحصى وإن كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله وكرمه، لكن بعد أن يستعد بطاعته وعبادته لأن رحمة الله قريب من المحسنين.

ولوقيل أيضا: يبلغ بمجرد الإيمان؟ قلنا : نعم. لكن متى يبلغ؟ وكم من عقبة كئود تستقبله إلى أن يصل؟][4]

---

[1]- عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص471.

[2]- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط4، ج3، مصر، 2007، ص616.

[3]- موفق الدين يعيش ابن علي يعيش النحوي، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، د ط، ج8، مصر، د ت، ص80.

[4]- حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، ط4،1431هـ-2010م، ص101. .

في هذا القول نجد (لكن) الواردة فيه هي (لكن الحجاجية)، فهناك تعارض حجاجي بين ما يتقدم وما يتلوه، فالقسم الأول من القول أن العبد سيبلغ الجنة بفضل الله ورحمته، لكن بعد أن يكون مستعدا ومتأهبا للقاء الله وذلك بالعمل والعبادة والطاعة والإحسان.

أما الحجة الثانية جاءت كرد على القول الأول؛ حيث أنه بمجرد بلوغ الإيمان يدخل العبد الجنة، لكن لن يصل إلى ذلك بدون زاد وسلاح وبدون مواجهة العقبات الصعبة والحواجز المنيعة، وأول عقبة هي عقبة الإيمان؛ أي الموت بدون إيمان بعد أن كان المرء مؤمنا لعدم إخلاصه، فيسلب منه الإيمان.

وبهذا نقول أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى لأنها توجه القول بمجمله نحو النتيجة.

2- الرابط الحجاجي " حتى":

تستخدم **(حتى)** في المستوى النحوي بوظائف متعددة من العطف أو انتهاء الغاية، أو الاستثناء أو التعليل، وفي المستوى التداولي تستعمل للحجج أو عرض الحجج الأقوى أو إبراز لظاهرة التساوق اعتمادا على السياق التخاطبي الدلالي الذي ترد فيه.

يظهر في قول النحاة أن ما بعدها غاية لما قبلها فإن "الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، ثم أن الحجة التي ترد بعد

(حتى) هي الأقوى، ولذلك فإن القول المشتمل على الأداة **(حتى)** لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي."[1] فالرابط **(حتى)** مثقل بحمولة حجاجية واضحة.

أيها الولد...

اقبل نصيحة "الخضر" -عليه السلام- حين قال: {فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا} الكهف(70). ولا تستعجل حتى تبلغ أوانه يُكشف لك وتره.[2]

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص73.

[2]- حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، ط4،1431هـ-2010م، ص134.

يتمثل دور الرابط **(حتى)** الحجاجي في الربط بين الحجج التي تسبقها وإعطاء قوة للحجة التي تليها ، فهو هنا يقول له : أيها الولد لا تستعجل في كشف أمر مستور عليك أن تصل إلى وقته يُكشَف لك وأبصرت .وعليه فإن الحجة التي جاءت بعدها بررت ماقبلها.

وكذلك نجد في قصيدة "**العشاء الأخير**" **لأمل دنقل**" التي تدور حول الصراع القائم بين السلطة والشاعر، حيث يقول:

أعطني القدرة حتى أبتسم...

عندما ينغرس الخنجر في صدر المرح

ويدب الموت، كالقنفذ، في ظل الجدار

حاملا مبخرة الرعب لأحداق الصغار

أعطني القدرة...حتى لا أموت.[1]

إننا لا نفهم دلالة الرابط **(حتى)** إلا حين نرده في سياقه العام، وذلك حينما لاحظنا أن الشاعر من خلال هذه القصيدة قد ارتدى قناع "المسيح عليه السلام" –وهو مقتبس من كتب التوراة والإنجيل– وعمل على التحدث بلسانه، وإخفاء وجهه، ليخيل للقارئ أنّ المتكلم هو المسيح، كما أن الشاعر لم يقتصر مخيلته على هذه القصة، بل مزج معها شخصية "أوزيس" التي ترمز إلى الحب والتسامح وذلك كون الشخصيتين تتشابه فيها الأحداث والمواقف، فبلاغة الصورة الشعرية وحجاجية الرابط **(حتى)** تكمن في المفارقة التي جاء بها الشاعر، إذ أنه يطلب القدرة التي هي أصل الابتسامة في حالة الطعن، فنحن ندرك أن الابتسامة تكون في حالة فرح، لكن جاء بالرابط**(حتى)** ليبرر غاية، وهي القدرة على الابتسامة في حالة الطعن، أي أن **(حتى)** ربطت القدرة بالابتسامة في حالة الطعن الذي يستوجب البكاء والفراغ.

[1]– أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص172.

4 – الرابط الحجاجي " الفاء" :

يعد هذا الرابط من أنجح الروابط الحجاجية وأوفرها طاقة لكونها تساعد في ربط المعاني والحجج بعضها ببعض. وهو من الروابط الحجاجية التي يفيد في ترتيب الحجج وربط النتائج بالمقدمات أي عبر الربط بين السبب والنتيجةباستعمال الرابط الحجاجي **(الفاء)** الذي يؤمن الانتقال بينهما فهو بذلك يقوم بحصر المعنى وتحديد الفكرة وهو ما يسمح بإقامة بنية حجاجية مركبة من علاقات حجاجية بين الحجج والنتائج تقوم أساسا على "التتابع" لذا تعد هذه العلاقات الحجاجية التي تقوم على التتابع من أقدر العلاقات التي تفيد في بناء النص وتوالده وانسجامه.[1]

وتقوم بالربط بين الأحداث مما يجعل الفعل الحجاجي عند المتلقي مقنعا. وما يتميز به هذا النوع من الترابط التتابعي عن غيره من الترابطات المنطقية الأخرى هو خاصية" الترتيب الزمني" فهو الأساس فيه.[2] ومن أمثلة البنية الحجاجية المركبة بواسطة الرابط الحجاجي(**الفاء**) ما يلي:

ثم اعلم أن مرض الجهل على أربعة أنواع: أحدها يقبل العلاج والباقي لا يقبل. أما الذي لا يقبل فأحدها من كان سؤاله واعتراضه عن حسد وبغض، فكلما تجيبه بأحسن الجواب لا يزيد له ذلك إلا غيضا وحسدا، فالطريق ألا تشتغل بجوابه، فينبغي أن تعرض عنه، وتتركه مع مرضه، كما قال تعالى: { فأعرض عن من تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا} النجم(29).[3]

في هذا القول استعمل حرف الفاء الذي يفيد الترتيب مع سرعة التعقيب في قوله: فأحدها، فكلما، فالطريق، فينبغي، فأعرض. وقد تكرر استخدام حرف الفاء لأن الحسود بكل ما

---

[1]– ينظر حازم طارش حاتم، التراكيب التحليلية في القرآن الكريم، (دراسة حجاجية)، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 2014، ص119.

[2]– عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج– الخطابة الجديدة– لبرلمان وتيتكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص332.

[3]– حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، ط4،1431هـ– 2010م، ص137. .[3]

يقول ويفعل يوقد النار في زرع عمله وهو غافل، كما قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–:

[والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب].[1]

5 – الرابط الحجاجي" الواو":

يعد **(الواو)** من أهم الروابط الحجاجية، إذ ليس له دور الجمع بين الحجج فحسب، بل يقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، ف**(الواو)** رابط حجاجي مدعم بالحجج المتساوقة أو المتساندة، ويستعمل **(الواو)** حجاجيا وذلك بترتيب الحجج، ووصل بعضها ببعض بل وتقوي كل حجة منها الأخرى، كما تعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي.[(2)]

وبهذا فإن **(الواو)** تدل على" اشتراك الثاني في دخل الأول وليس فيها دليل على أيهما كان أولا."[(3)]

وعليه فإن الأمثلة كثيرة من بينها:

والثاني أن تكون علته من الحماقة وهو أيضا لا يقبل العلاج، كما قال عيسى– عليه السلام–:[إني ما عجزت عن إحياء الموتى وقد عجزت عن معالجة الأحمق].[4]

وذلك رجل يشتغل بطلب العلم زمانا قليلا ويتعلم شيئا من العلوم العقلي والشرعي، فيسأل ويعترض من حماقته على العالم الكبير الممضي عمره في العلوم العقلي والشرعي، وهذا الأحمق لا يعلم ، ويظن أن ما أشكل عليه هو أيضا مشكل للعالم الكبير، فينبغي ألا يشتغل بجوابه، لأن جواب الأحمق السكوت.

في هذا القول الرابط الحجاجي**(الواو)** قام بالوصل بين الحجة والأخرى، كما قام بترتيب هذه الحجج ووصفها لتشكيل البنية العامة ومن ثم تقوية وتدعيم النتيجة.

---

[1]–رواه أبو داوود، 4903، والبيهقي في شعب الإيمان6184، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

[(2)]– ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص472/473.

[(3)]– أبو العباس محمد بن يزيد، المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق، د ط، القاهرة، 1399ه، ص148.

[4]– حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، ط4،1431هـ–2010م،ص138–139.

وقوله أيضا: [**وأما المرض الذي يقبل العلاج، فهو أن يكون مسترشدا عاقلا فهما، لا يكون مغلوب الحسد والغضب وحب الشهوة والجاه والمال، ويكون طالب الطريق المستقيم، ولم يكن سؤاله واعتراضه عن حسد وتعنت وامتحان.]**[1]

فهذا يقبل العلاج فيجوز أن تشتغل بجواب سؤاله، بل يجب عليك إجابته. فالحجج هنا جاءت مترابطة متسقة غير منفصلة وكل حجة هي في إثر سابقتها تساندها وتقويها، وذلك بفضل الرابط الحجاجي(**الواو**).

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه: "**اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها، واعمل لله بقدر حاجتك إليه، واعمل للنار بقدر صبرك عليها**"[(2)].

فخلاصة العلم أن تعلم أن الطاعة والعبادة هي متابعة الشارع في الأوامر والنواهي، بالقول والفعل؛ يعني: كل ما تقول وتفعل، وتترك قوله وفعله يكون باقتداء الشارع؛ كما لو صمت يومي العيد وأيام التشريق تكون عاصيا، أو صليت في ثوب مغصوب[(3)] وإن كانت صورته عبادة تأثم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى: صوت الديك، وصوت الذي يقرأ القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار**"[(4)].

في هذا الحديث النبوي، (**الواو**) في وسط الحديث (و صوت) جاءت عاطفة على ما قبلها(صوت الديك) ، و(**الواو**) الثانية جاءت لزيادة االتأكيد على أحب الأصوات عند الله,

6- الرابط الحجاجي " بل":

---

[1].المصدر نفسه، ص140.

[(2)]– ذكر القصة المفسر إسماعيل حقي في "روح البيان" (36/8). وفي(ب، ج، و، ز) زيادة: (فإذا أردت أن تعصي مولاك.. فاطلب مكانا لا يراك).

[(3)]– في(و) زيادة: (أو في ثوب لبسه حرام كالحرير في الرجال).

[(4)]– أورده الدليمي في "الفردوس"2538، والثعلبي في "تفسيره "(30/3) عن السيدة "أم سعد بنت زيد بن ثابت رضي الله عنهما."

يعد الرابط الحجاجي **(بل)** من أهم الروابط الحجاجية، التي يعتمد عليها المتكلم في ترتيب حججه في السلم الحجاجي، وتكمن حجاجيته في أن المرسل " يرتب به الحجج في السلم، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بكون بعضها منفي، والبعض الآخر مثبت."[1] ف**(بل)** يستعمل لإفادة الإضراب، وله حالتان:

1- **الأول:** أن يقع بعد جملة.

2- **الثاني:** أن يقع بعد مفردة.

فإن وقع بعد جملة كان إضرابا عما قبلها، ومثال ذلك:

[والخصلة الثانية: ألا تكون همتك في وعظك أن ينفر الخلق من مجلسك، ويظهروا الوجد ويشقوا الثياب، ليقال: نعم المجلس هذا، لأن كله ميل للدنيا والرياء، وهو يتولد من الغفلة، بل ينبغي أن يكون عزمك وهمتك، أن تدعو الناس من الدنيا إلى الآخرة، ومن المعصية إلى الطاعة.][2]

فإذا وقع بعد **(بل)** مفرد فهي "**حرف عطف**"، ومعناها الإضراب، ولكن حالها فيه مختلف، فإن كانت بعد نفي، فهي لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعدها."[3] أي أنه إذا وقع مفردا؛ يكون فيه إما أمر أو إيجاب، وإما نفي أو نهي، نحو: (اضرب زيدا بل عمرا)، (قام زيد بل عمرو)، (ما قام زيد بل عمرو)، (لا تضرب زيدا بل عمرا).

كما يمكن أن ننبه إلى أن العلاقة الحجاجية تختلف عن الاستلزام المنطقي، فالرابط **(بل)** يربط بين الحجج والنتائج، ذلك أن الحجة التي تأتي بعد **(بل)** أقوى من الحجة التي ترد قبلها، وبالتالي **(بل)** تقوم بالربط بين حجتين تخدمان نتيجتين متضادتين، ويمكن أن نبين ذلك من خلال قوله :

---

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص514.

[2]- حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، ط4،1431هـ-2010م،ص142. .

[3]- الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، ص 235-236.

[كل وعظ لا يكون هكذا فهو وبال على من قال ويسمع، بل إنه غول وشيطان يذهب بالخلق عن الطريق ويهلكهم، فيجب عليهم أن يفروا منه.][1]

لقد استعمل الرابط الحجاجي **(بل)** لإبطال الوجهة، فليس الوعظ في إظهار الحب واللهفة والصياح، بل في الدعوة إلى الإعراض عن الدنيا واجتناب المعاصي، إلى الطاعة وحب الآخرة ، وعليه فإنه يبطل الحكم الأول ويثبته للثاني.

ثالثا :العوامل الحجاجية.

لم تعرف العوامل الحجاجية كآلية إلا في العصر الحديث، على يد "ديكرو" وآخرون، حيث أن جل الدراسات التي كانت قبل هؤلاء عبارة عن إشارات وومضات متلاشية في أمهات الكتب، سواء أدبية أو فلسفية، التي كانت تحمل في ثناياها المعنى التخاطبي العادي، الخالي من الآثار الجانبية، الهادف إلى التواصل فقط.

فالعوامل الحجاجية " عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة، وهي تحقيق الخطاب الإقناعي في عملية التواصل."[(2)] ويعرف العامل الحجاجي" بأنه وحدة لغوية إذا تم إعمالها في ملفوظ معين فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ، والتحول الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي الملفوظ الذي يرد فيه لا يكون مستمدا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل."[(3)]

ومعنى ذلك أن العوامل الحجاجية من شأنها إخراج الجملة من الإبلاغية، أي من مستوى الوصف والإبلاغ إلى الحجاجية بحيث تكون العوامل موجهة لبنية الخطاب نحو نتيجة بعينها وهذه النتيجة أو الالتزام أو المفهوم في جميع الحالات.

---

[1]–المصدر نفسه، أيها الولد، ص143.

[(2)]– عز الدين الناصح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى، مكتبة علاء الدين للتوزيع والنشر، ط1، صفاقس، تونس، 2011م، ص31.

[(3)]– عايد جدوع حنون وثائر عمران شدهان، العوامل الحجاجية آيات الأحكام، جامعة المثنى، مجلة أروك، م9، العدد4– 2016، ص12.

أما من حيث تموضعها في الخطاب فإننا "لا نجدها تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: **ربما، تقريبا، قليلا، كثيرا، ما، إلا**... وجل أدوات القصر."[1]

ومن هذه العوامل الحجاجية:

1- العامل الحجاجي "ما...إلا، لا...إلا":

وهي من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب، درجة قوتها الحجاجية وهو "عامل يوجه القول نحو وجهة واحدة نحو الانخفاض."[2]وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه بفعل شيء ما.

وبهذا يتضح لنا أن الأداتين **(ما...إلا)** و**(لا...إلا)** من أدوات القصر في اللغة العربية، ومعنى ذلك أن يخصص صفة معينة بموصوف معين، وعليه فيقول أبو البقاء الكوفي "والقصر في الاصطلاح جعل أحد طرفي النسبة في الكلام سواء كانت اسنادية أو غيرها مخصوصا بالآخر بحيث لا يتجاوزه إما على الإطلاق أو بالإضافة بطرق معهودة."[3]

وأسلوب القصر يوجه إلى ثلاثة أصناف مختلفة بين المخاطبين[4]:

- مخاطب يعتقد رأيا مخالفا.
- مخاطب يشك في الرأي المقدم له.
- مخاطب يعتقد الشركة بين اثنان أو أكثر من الحكم.

---

(1)- ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص29.

(2)- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص520.

(3)- أبو البقاء الكوفي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 1419ه/1998م، ص716.

(4)- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، ط4، إربد، الأردن، 1417ه/1997م، ص364.

ومنه يمكن أن نقول أن(**لا...إلا**) و(**ما...إلا**) هي أدوات القصر بالنفي والاستثناء، والقصر طرفان: مقصور ومقصور عليه بمعنى اعتماد أداة النفي مع الاستشهاد بتخصيص أحد الطرفين على الآخر. وهذا يظهر في الخطاب الآتي:

أيها الولد...

بعد اليوم لا تسألني ما أشكل عليك إلا بلسان الجنان.[1]

نلاحظ في هذا القول أن أسلوب القصر عمل على تقليص الإمكانات الحجاجية بتوجيه المخاطب نحو الصبر وعدم الاستعجال ،فالقصر زاد من القوة الحجاجية في توجيه متلقيه نحو عدم التسرع. إذ إنّ (ما..إلا) هي أداة نفي واستثناء.

وفي نفس السياق يقول مستدلا بآية قرآنية :{ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم} الحجرات(05).

يتضح لنا من استدلاله بهذه الآية الكريمة لزوم الصبر وعدم الاستعجال في الأمور وإلا ستكون العاقبة لا متوقعة.

ونفس الكلام يقال عن (**لا...إلا**)، إذ هي أداة نفي واستثناء ويظهر ذلك في هذا القول:

فلا تسألني قبل الوقت وتيقن أنك لا تصل إلا بالسير[2]. لقوله تعالى:{ أولم يسيروا في الأرض فينظروا} الروم(09).

ومعنى ذلك أنه عند سيرك في رحلات طلب العلم تر العجائب في كل منزل.

وبهذا نقول أن الحصر بالنفي والإثبات منطوق صريح ؛ وهذا لأن الأداة (**ما**) صريحة في النفي، والأداة (**لا**) صريحة في الإثبات.

2- العامل الحجاجي "إنما":

(**إنما**) أداة استثناء وهي مركبة من (**إن**) و(**ما**) وبعد دخول(**ما**) على(**إن**) التوكيدية تغيرت وظيفتها، وأصبح لها معنى جديد، وقد "تغيرت دلالتها على التوكيد من كونه توكيدا

---

[1]. حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية،بيروت، لبنان، ط4،1431هـ-2010م، ص134.

[2]. المصدر نفسه ، ص135.

عاديا إلى كونه توكيدا قاصرا أو حاصرا."[1] تأتي **(إنما)** لتصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم، واستعمال الاستثناء بـــ**(إنما)**"لا تقوله لمن يجهل ذلك، ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنه يريد أن تنبهه."[2] ويرى "السكاكي" إنما يأتي إثباتا لما يذر ونفيا لما سواه."[3]

وهذا يعني أنها أداة حصر وتوكيد، وتوظيف المخاطب لهذه الأداة لم يكن لحاجته لتأكيد كلامه، فتعد من الأدوات القادرة على تقريب الفكرة أو الخطاب إلى ذهن المتلقي وترسيخها فيها.

والشيء الملفت للانتباه والذي أشار إليه "الجرجاني" في قوله في استخدام العاملين الحجاجيين**(ما...إلا)** و**(إنما)** إذ أكد أنهما "لا يكونان سواء، فليس كل كلام يصلح فيه**(ما...إلا)** يصلح فيه**(إنما)** ألا ترى أنها لا تصلح في مثل قوله تعالى**{ وما من إله إلا الله}** وفي نحو قولنا**(ما أحد إلا وهو يقول ذلك...)** إذ لو قلت (إنما من إله إلا الله)و(إنما أحد إلا وهو يقول...) قلت لا يكون له معنى."[4]

ويتضح لنا من خلال ذلك أن **(إنما)** لا تصلح لكل الأمثلة ولا لكل الأقوال أو لكل مكان يتواجد فيه العامل **(ما...إلا)** لأن في ذلك تغيير للمعنى.

يقول الله تعالى: **{ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا }.[سورة مريم19]**.

نلاحظ من الآية الكريمة العامل**(إنما)** يفيد القصر، وما هو إلا مرسل من الله وهذا العامل أكد وأثبت. وأن وظيفته وشغله تنفيذ رسالة ربه فيها، وهي بشارة عظيمة بالولد و تزكيته.

---

(1)– مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1424ه–2003م، ص238.

(2)– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: أبو جمعة محمود شاكر، ط المدني، دط، القاهرة، 1984، ص330.

(3)– السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1407ه/1987م، ص291.

(4)– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2001، ص328–329.

وفي الأخير نستخلص أن القصر يحصر ويقيد الإمكانات الحجاجية ويزيد من قوتها بتوجيه الكلام نحو النتيجة التي يروم المتكلم تحقيقها، وبذلك يكون الكلام الذي يتضمن العوامل الحجاجية أكثر تأثيرا وإقناعا في متلقيه من الكلام الذي لا يتضمنه.

خاتمة

الخاتمة:

ويبقى موضوع الحجاج والإقناع موضوع كثرت فيه الدراسات كما أنه جدير لتطبق عليه مختلف المدونات(القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، الرواية، الشعر)، وهذا ما اتضح لنا بعد دراستنا "آليات الإقناع في كتاب أيها الولد المحب" لأبي حامد الغزالي"، وهذه خلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الفصلين:

استخلصنا في الفصل الأول مجموعة من النتائج ألا وهي:

1 – ثراء كتاب "أيها الولد المحب لأبي حامد الغزالي" بمختلف أنواع الآليات الحجاجية جعله بنية حجاجية متكاملة، تخدم قضايا مختلفة، وتحقق مقاصد الكاتب في الإبلاغ والتأثير والإقناع.

2 – اعتمد "أبي حامد الغزالي" في خطاباته اللسانية، بغية تحقيق الأهداف التي تصبو إليها هذه الخطابات، على مختلف الآليات اللغوية والبلاغية وشبه المنطقية.

3 – وجود مختلف الآليات اللغوية في الكتاب، من شواهد وأمثلة واستفهام وأمر؛ له علاقة مباشرة بالحجاج، قصد الكاتب من خلالها توضيح المعاني والبرهنة على وجهات النظر وجعلها أكثر صحة وتصديقا.

4 – أسهمت الآليات البلاغية بشكل كبير في ابراز الطابع الحجاجي لخطابات الشيخ "أبي حامد الغزالي"، بحيث راعى عنصر الإقناع والتأثير في المتلقي بأسلوب جميل يخترق مشاعره.

5 – إن البلاغة الجديدة أو الخطابة الجديدة هي من أهم النظريات الحديثة للحجاج عند الغرب التي أرسى معالمها "بيرلمان وتيتكا"، إذ حاول إعطاء بعد عقلي للحجاج، وهو عندهما حوار يسعى إلى إحداث اتفاق بين الأطراف .

6 – التشبيه والبديع ليس مجرد زخرفة للكلام، إنما يؤديان وظائف حجاجية، عن طريق الجميع بين الجمال والإقناع.

7 – ارتبط الحجاج بالإقناع ارتباطا وثيقا لأنه يسعى إليه دوما، فالإقناع غاية الحجاج ومنتهاه، والحجاج مطية الإقناع للوصول إلى التغيير المنشود، لأنه الجسر الذي يربط الكلمة بالفعل والقول بالعمل، إذ حين يضطلع الكلام بوظيفة الحجاج يصبح محركا للفعل، صانعا للرأي والفكرة والموقف.

8 – إن الحجاج والإقناع جزئان من عملية واحدة، فالحجاج آلية من آليات الإقناع وهو الوسيلة اللغوية للإقناع، ولا اختلاف بينهما إلا في درجات التوكيد.

أما الفصل الثاني، بداية وبعد أن جلت في رياض الكتاب الممتع وتحديدا في حديثنا عن "أيها الولد المحب" توصلنا إلى النتائج التالية:

1 – كشفت لنا المدونة عن بعض الآليات اللغوية الحجاجية من خلال الاعتناء بحروف الربط، وحسن اختيارها، وأماكن تواجدها في النفس من أجل توجيه الكلام نحو آفاق واضحة يرومها الباحث منذ البداية، وهذا ما يعرف ب"الروابط الحجاجية"، وقد كان دور الروابط الحجاجية في سياق الكلام التأثير والإقناع، وانتقاء مواضعها في الخطاب النصي من أجل هذه الغاية.

2 – تهدف العوامل الحجاجية إلى تقييد الإمكانات وحصرها، (ما...إلا/ لا...إلا/ إنما)بأمثلة قليلة ذات قيمة حجاجية.

3 – اختلفت الروابط والعوامل الحجاجية وهذا نظرا لما تعليه هذه الروابط من دور فعال في انسجام الخطاب الحجاجي .

4 – ولد الاهتمام بدرس الحجاج والإقناع نشوء نظرية مستقلة داخل نظرية الحجاج، ومن مثال ذلك السلالم الحجاجية التي وضعها "ديكرو وأنسكومير" داخل قراءة الحجاج من

الجهة اللغوية، فأسسا تبعا لذلك نظرية مؤثرة في الحجاج، تتسم بأساليب اختبارية تقيس مدى تماسك النص وترابطه من جهة، وتقرأ طاقته التوجيهية المدعومة بالروابط الحجاجية من جهة أخرى .

وفي الأخير نرجو من الله أن يحقق بهذا العمل نفعا، " وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب".

ملحق

المبحث الأول :نبذة عن "الإمام الغزالي".

- سيرة ذاتية عن "أبي حامد الغزالي".

أولا: مولده ونسبه ونشأته وأسرته :

1- مولده:

ولد "الإمام الغزالي" سنة 450ه، ب الطباران[1] إحدى بلدتي طوس وهذا ما أجمعت عليه كتب "التاريخ والتراجم"[2].

2- نسبه:

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي[3]الطوسي[4]، يُكنى بأبي حامد ويلقب ب "حجة الإسلام"، زين الدين[5].

3- نشأته:

---

[1]- الطباران: نجد الألف باء موحدة ثم راء مهملة، وآخره نون، إحدى مدينة طون المصدر السابق.

[2]- ينظر "طبقات الشافعية للسبكي" ص من 6 إلى 191، "شذرات الذهب" ص (8/3)

[3]- سمي بذلك قيل: نسبة إلى الصنائع(غزل) أي صنعة الصوف التي كان يشتغلها أبوه وجده، وقيل نسبة إلى قرية يقال لها غزالة بتخفيف الزاي.- ينظر سير أعلام النبلاء ج19- ص343.

[4]- نسبة إلى مسقط رأسه طوس: وهي مدينة قديمة بخا راسان، وتشتمل على بلدتين إحداهما الطباران والأخرى توقان، وتسمى طوس حاليا تقع شمال إيران على الحدود الإيرانية الأفغانية التركستانية.- ينظر "ياقوت الحموي- معجم البلدان " بيروت دار الفكر- د. ط ج4 ص49 - آمنة أبو حجر- موسوعة المدن الإسلامية. الأردن -عمان . دار أسامة ص175- 176 .

[5]- ينظر سير أعلام النبلاء (322/19).

نشأ إمامنا يتيماً، فقيراً بعد أن عاجلت المنية ولده، فقد وصى به وبأخيه أحمد[1] إلى أحد أصدقائه من أهل الخير للقيام بتعليمهما، ولما نفذ ما بيده من مالهما اليسير، ألحقهما بإحدى المدارس التي تعينهما على قوتهما، فالتحقا بها، فكان السبب في سعادتهما وعُلى درجاتهما.

4- أسرته :

أبوه: كان رجلاً فقيراً صالحاً يغزل الصوف ويبيعه في دكانه، يأكل من كسب يده، وكان يطوف على المتفقهة ويجالسهم، ويتوفر على خدمتهم، وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع إلى الله بأن يرزقه أبنا ويجعله فقيهاً، ويحضر مجالس الوعظ، فاستجاب الله دعوته، ورزقه أبي حامد الذي صار أفقه أهل زمانه .

عمه: هو الشيخ أبو حامد بن محمد، الغزالي القديم. كان عالماً مقدماً مناظراً، ألف في الجدل والخلافيات ورؤوس المسائل. توفي سنة 435ه.

أخوه: أبو الفتوح مجد الدين أحمد، كان واعظاً ومال إليه، درس بالمدرسة النظامية، طاف البلاد، وكان مائلا إلى العزلة. توفي سنة 520ه.من مؤلفاته "الذخيرة في علم البصيرة- مختر الإحياء".[2]

ثانيا: طلبه للعلم :

بدأ الإمام الغزالي منذ نشأته في طلب العلم، حيث قرأ في صباه طرفاً من الفقه في بلدة "طوس" على أحمد بن محمد الراذكاني[1].

---

[1]هو أبو الفتوح، أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسيي لقب كذلك بلقب أخيه زين الدين . توفي سنة 520ه، سير أعلام- النبلاء (343/19) وشذرات الذهب (99/6).

[2]- شذرات الذهب، عبد الحي العكاري 60/2، دار الكتب العلمية – بيروت.

ثم سافر إلى جرجان[2]، وكان فيها أبو القاسم الإسماعيلي[3]، ثم رجع إلى طوس وقدم نيسابور[4] ولازم فيها إمام الحرمين، وجد واجتهد في طلب العلم عليه حتى مماته، فبرع في المذهب والأخلاق والجدل والأصول والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة فأحكم كل ذلك.

وقال "عبد الغافر الفارسي"[5] حجة الإسلام والمسلمين، إمام أئمة الدين، لم تر العيون مثله لساناً وبياناً ومنطقاً وخاطراً وذكاءً وطبعاً، وقد بذل الإمام الغزالي جهداً كبيراً في طلب العلم، استمر في السفر لأجله حتى مات[6].

---

[1]– هو أحمد بن محمد الطوسي، أبو حامد الراذكاني، وراذكان من قرى طوس أحد أشياخ الغ زاليفي الفقه ينظر: طبقا تالشافعية للسبكيص (91/4).

[2]– جرجان بالضم وآخره نون، مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان . معجم البلدان(119/2).

[3]– هو اسماعيل بن مسعدة ابن الإمام أبي بكر الإسماعيلي، كان فقيها ورعا وزاهدا. توفي سنة 477ه، ينظر سير أعلام النبلاء(564/18).

[4]–نيسابور: بفتح أوله، مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء. وهي إحدى بلاد خراسان ينظر: معجم البلدان(331/5– 350/2).

[5]– هو عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر الفارسي الشافعي، أبو الحسن، كان إماما فقيها فصيحا تفقه على إمام الحرمين، صنف التصنيف منها(السياق في تاريخ نيسابور. توفي سنة 529هينظرفيترجمتهسيرأعلامالنبلاء (20/16) تحقيق الحافظ عبدالعليم خان– بيروت–عالمالكتبط1– 1407ه– ج2 ص305).

[6]– المصدر السابق.

من أبرز الشيوخ الذين تأثر بهم: "الراذكاني- أمام الحرمين- يوسف النساج- الإسماعيلي- الجنيد البغدادي- الشبلي-أبو زيد البسطامي- أبو الفتح الحاكي...".

ثالثا: تراثه العلمي :

إن "للإمام الغزالي" مصنفات كثيرة في شتى العلوم والمعارف والفنون، أوصلها بعضهم إلى ما يزيد على خمسمائة مصنف، ومنها ما هو منحول فأحسن التأليف وأجاد وضعها، وقد اهتم بعلم أصول الفقه وصنف فيه التصانيف، وهذا ما يدل دلالة واضحة على نبوغه واتساع ثقافته.

قال عنه تلميذه "الإمام محمد بن يحيى"(الغزالي هو الشافعي[1] الثاني)[2]، كما قال "الإمام الذهبي": (الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد، صاحب التصانيف والذكاء المفرط).

من أهم مؤلفاته :

القسم الأول: في القرآن الكريم وعلومه :

1- جواهر القرآن: ويسمى بجواهر القرآن ودُرره، وهو كتاب يذكر فيه الجواهر والنفائس والآيات .

2- ياقوت التأويل في تفسير التنزيل: وهو تفسير القرآن الكريم على نحو 40 مجلد .

---

[1]- هو محمد بن ادريس بن العباس بن عفان الهاشمي القرشي، أحد الأئمة الأربعة الأعلام، مؤسس علم الأصول . من مؤلفاته -الرسالة- في أصول الفقه وأحكام القرآن. توفي 204ه ينظر الشيرازي أبو اسحاق. طبقات الفقهاء- تحقيق احسان عباس د- ط1970م ج 2ص112، شذرات الذهب(3/19-23).

[2]- طبقات السبكي، ص(6/202).

القسم الثاني: في العقائد والفرق :

1-الأربعين في أصول الدين .

2- بيان فضائح الباطنية، الاقتصاد في الاعتقاد المنفذ من الظلال وهو من كتبه المشهورة مطبوع عدة طبعات.[1]

القسم الثالث: في الفقه ومنه :

1- البسيط في الفروع.

2- الوسيط في المذهب.

القسم الرابع: الفلسفة والمنطق

ومنه :

1- إلجام العوام من علم الكلام .

2- معيار العلم .

القسم الخامس: الأخلاق والآداب ومنه :

1- إحياء علوم الدين.

2- الاستدراج.

3-أيها الولد وهي رسالة موجهة لطالبه وهذا هو لب موضوعنا.

4- زاد الآخرة، مخطوط[2] وغيرها...

---

[1]- ينظر(كشف الظنون)(2048/2)، و"مؤلفات الغزالي"ص199.

[2]- ينظر "مؤلفات الغزالي"ص188.

رابعا: وفاته رحمه الله :

وفي آخر أيامه رحمه الله وزع أوقاته بين ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والعقول للتدريس، بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته عن فائدة حتى وافته المنية، حيث انتقل "الغزالي" إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، ودفن بظاهر قصبة طباران.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

أولا: المصادر

أبي حامد الغزالي، أيها الولد المحب.

والمراجع باللغة العربية:

ثانيا: المعاجم:

2- ابن منظور، لسان العرب، مج02، ج10، ط10، دار المعارف، القاهرة، 1981م.

3- الجوهري اسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: عبد النور وطار، ج1، ط4، دار القلم للملايين، بيروت، لبنان، 1995م.

4- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م.

ثالثا الكتب:

1. العزاوي أبوبكر، اللغة والحجاج، منتدي اتسور الآزيكية، ط1، الدار البيضاء، 2006م.
2. صابر الحباشة، التداولية والحجاج، "مداخل ونصوص"، صفحات للدراسة والنشر، سورية- دمشق، 2008م.
3. هارون عبدالسلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة، 2001م.
4. عبدالله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصها لأسلوبية، دار الفارابي، ط2، بيروت، لبنان، 2007م.
5. فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم.

6. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، ط2، المغرب، 2002م.

7. الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية، ج1، حدوده وتعريفاته، 1431ه – 2015م.

8. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص31– 33.

9. عبدالله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج، كلية الآداب، منوبة، 1998م.

10. أرسطو، الخطابة، تعريف عبدالرحمن بدوي، بغداد، ط2، 1955– 1986.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
مقدمة	أ-ب
الفصل الأول: الحجاج من المعنى اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية	
أولا : مصطلح الحجاج من المعنى اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية	
الحجاج عند الغرب:	10
الحجاج عند العرب:	11
ثانيا : البلاغة العربية ونظريات الحجاج:	13
❖ البلاغة الجديدة و نظريات الحجاج:	13
❖ الأشكال والأساليب الحجاجية:	17
❖ البلاغة العربية والنظريات الجديدة في الحجاج:	18
الفصل الثاني: آليات التأثيرفي رسالة الغزالي	
أولا: آليات الحجاج وأدواته:	25
الأدوات اللغوية الصرف:	28
الآليات شبه المنطقية:	28
- الأدوات اللغوية:	28
أدوات التعليل:	28
الأفعال اللغوية:	31
الحجاج بالتبادل:	34
الوصف:	35
اسم الفاعل:	36
اسم المفعول:	37

تحصيل الحاصل:	37
الآليات شبه المنطقية(السلم الحجاجي):	39
تعريفه وقوانينه:	39
ثانيا: أدوات السلم الحجاجي اللغوية	44
الأدوات اللغوية:	44
ثالثا: الروابط الحجاجية	45
الرابط الحجاجي "لكن":	45
الرابط الحجاجي " حتى":	47
الرابط الحجاجي " الفاء" :	49
الرابط الحجاجي" الواو":	51
6- الرابط الحجاجي " بل":	52
العامل الحجاجي "ما...إلا، لا...إلا":	50
العامل الحجاجي "إنما":	50
خاتمة	47
ملحق	51
المصادر والمراجع	58
فهرس المحتويات	

.....